الرحلة
إلى الدار الآخرة

إعداد

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف
غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

مصدر هذه المادة :



دار ابن خزيمة

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فإن من أصول الإيمان «الإيمان باليوم الآخر» وهذا الأصل كثيراً ما يذكره جل وعلا مقروناً بالإيمان به لأهميته وعظيم أمره ولهذا جمعتُ في هذه الورقات بعض المقدمات والأحداث من ساعة الموت إلى دار القرار وسميتها مجتهداً: **«الرحلة إلى الدار الآخرة»**[1].

نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا للأعمال الصالحة ويختم لنا بالتوحيد وأن يجعل مصيرنا الفردوس الأعلى من الجنة. صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[2].

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف

---

[1] (?) استفدت في تحضير هذه المادة من عدة مراجع وفي مقدمتها كتاب «القيامة الصغرى والقيامة الكبرى» لفضيلة الشيخ عمر بن سليمان الأشقر حفظه الله تعالى وقد اعتمدت غالباً على مواضيع الكتابين والتعليق عليهما والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

[2] (?) نشكر فضيلة شيخنا الشيخ سامي بن محمد الخميس حفظه الله تعالى على مراجعته هذه الورقات والتعليق عليها فجزاه الله خير الجزاء والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

غفر الله له ولوالديه
وجميع المسلمين

قُصر الأمل والاستعداد للموت

قصر الأمل هو استحضار بقـرب الرحيل وسـرعة انقضـاء مـدة الحيـاة وهو من أنفع الأمـور للقلب فإنه يبعث على انتهـاز فرصة الحيـاة الـتي تمر مر السـحاب والمبـادرة بالعمل الصـالح قبل طي صـحائف الأعمـال ويثـير سـاكن عزماته إلى دار البقـاء ويحثّه على قضـاء جهـاز سـفره وتـدارك الفـارط ويزهّده في الدنيا ويرغّبه في الآخرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : **«أعذر الله إلى امـرىء أخّر أجله حتى بلغ سـتين سـنة»** رواه البخاري وأحمد .

وعن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله : **«لا يتمنينَّ أحـدكم المـوت إما محسـناً فلعله يـزداد وإما مسـيئاً فلعله يسـتعتب»** رواه البخـاري ومسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قـال: أخذ رسـول الله بمنكـبي فقـال: **«كن في الـدنيا كأنك غـريب أو عـابر سـبيل»** رواه البخاري وأحمد.

وكـان ابن عمر يقـول: «إذا أصـبحت فلا تنتظر المسـاء وإذا أمسـيت فلا تنتظر الصـباح وخذ من صـحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

قـال الحسن البصـري رحمه اللـه: «المـؤمن كـالغريب لا يجـزع من ذلها ولا ينافس في عزّها له شأن وللناس شأن».

قال الشيخ أحمد فريد حفظه الله: «اعلم أن طول الأمل له سببان: أحدهما: الجهل والآخر: حب الدنيا».

قال شيخنا الشيخ سامي الخميس حفظه الله: «حب الدنيا يقود إلى الغفلة وهي من أعظم أسباب طول الأمل».

قال شيخنا الشيخ خالد الهويسين حفظه الله: «من أطال الأمل أساء العمل ومن قصّر الأمل أحسن العمل».

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إن الدنيا ارتحلت مدبرة وإن الآخرة إرتحلت مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل».

قال الشيخ أحمد فريد حفظه الله: «الدنيا مثل قطعة الثلج رخيصة الثمن ومع ذلك تذوب ولا تبقى والآخرة مثل الجوهرة غالية الثمن ولا تذوب وإنما ينشأ الزهد في الدنيا من اليقين قال عز وجل: [**وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**] {الأعلى:17}».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التأني في كل شيء خير إلا في أعمال الخير في الآخرة».

قال بكر المزني رحمه الله: «إذا أردت أن تنفعك صلاتك فقل لعليّ لا أصلي غيرها».

قال رجل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ فقال: «ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة».

حقيقة الموت

الموت مقدمة من مقدمات اليـوم الآخر وهو القيامة الصـغرى فمن مـات قـامت قيامته قـال الله عز وجـل: [**كُـلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ**] {العنكبوت:57}.

قال القرطبي رحمه الله: «الموت تعلّق الـروح بالبـدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدّل حال وانتقال من دار إلى دار».

وقد أوكل الله سـبحانه وتعـالى ملك المـوت بقبض الأرواح ومعه أعوانـه، ومن الخطأ ما يزعمه بعض النـاس تسـمية ملك الموت بعزرائيل.

قال شيخنا الشيخ خالد الهويسين حفظه اللـه: «كل حـديث يفيد أن ملك المـوت اسمه عزرائيل لا يصح».

حقيقة الروح

حقيقة الـروح لا يعلم كيفيتها إلا الله عـز وجل [**وَيَسْـأَلُونَكَ عَنِ الـرُّوحِ قُـلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**] {الإسراء:85}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللـه: «ومذهب الصـحابة والتـابعين لهم بإحسـان وسائر سـلف الأمة وأئمة السُّـنة أن الـروح عين قائمة بنفسـها تفـارق البـدن وتنعّم وتعـذّب وليست هي البـدن ولا جـزء من أجـزاءه وأن روح الآدمي مخلوقة باتفـاق سلف الأمة وأئمتها وسـائر أهل السُّـنة وقد حُكي إجماع العلمـاء على أنها مخلوقة غـير واحد من أئمة المسلمين».

معاني الروح في القرآن

ذكر ابن القيم رحمه الله أن الروح في القرآن على سبعة معاني: الوحي والقوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها المؤمنين وجبريل وعيسى بن مريم والروح التي سأل عنها اليهود.

للإنسان نفس واحدة ولها ثلاث صفات

التحقيق أن للإنسان نفساً واحدة ولكن لها صفات كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله فتسمى باعتبار كل صفة باسم وهي: النفس المطمئنة والنفس الأمّارة بالسوء والنفس اللوّامة.

النفس المطمئنة: هي التي تحب الخير والحسنات وتريده وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك وقد صار ذلك لها خُلقاً وعادة ومَلَكة.

النفس الأمارة بالسوء: وهي التي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي.

النفس اللوامة: وهي التي تذنب وتتوب فيصدر عنها الخير والشر ولكن إذا فعلت الشر تابت وأنابت فتسمى لوامة لأنها تلوم صاحبها على فعل الذنوب وتلوم صاحبها على عدم الازدياد في الخير.

الروح والنفس

الروح والنفس معناهما واحدٌ فبهما حياة البدن فإذا فارقت البدن صارت روحاً وإذا كانت في البدن صارت نفساً.

إضافة الروح إلى الله تعالى

قال تعالى: [**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**] فالإضافة هنا إضافة تخصيص وتشريف.

علاقة الروح بالبدن

علاقة الروح بالبدن على خمسة أحوال كلها علاقات أمديه[1] إلا الخامسة فهي علاقة أبدية:

الحالة الأولى : عندما تنفخ الروح في البدن في رحم المرأة.

الحالة الثانية : عندما تفارق الروح البدن في الدنيا وهو الموت.

الحالة الثالثة : عندما تعود الروح للبدن بعد الدفن وهي حياة البرزخ.

الحالة الرابعة: عندما تفارق الروح البدن بعد النفخ في الصور «نفخة الصعق»**.**

الحالة الخامسة: عندما تعود الروح للبدن بعد النفخ في الصور «نفخة البعث والنشور».

---

1 (?) أمدية: أي لها وقت محدد.

موعد مفارقة الروح البدن

للموت وقت يـأتي فيه فلا يسـتطيع أحد أن يتجاوز الأجل الذي قدّر الله آجال العبـاد وجـرى بـذلك القلم في اللـوح المحفـوظ وكتبته الملائكة الكرام والمرء في بطن أمه فلا يتـأخر المـرء عما كُتب له من الأجل ولا يتقدم.

قال الله عز وجل: [**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**] {الواقعة: 60}.

قـال الله عز وجـل: [**وَلِكُـلِّ أُمَّةٍ أَجَـلٌ فَإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْـتَأْخِرُونَ سَـاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**] {الأعراف:34}.

دواهي الموت الثلاث

الداهية الأولى: الخـــوف من ســـوء الخاتمة.

الداهية الثانية: سكرات الموت.

الداهية الثالثة: رؤية ملائكة الموت.

الخوف من سوء الخاتمة

روي أن حذيفة بن اليمــان رضي الله عنه عند احتضـاره قـال لابن مسـعود رضي الله عنه: «قم فانظر أي ساعة هي؟ فقــام ابن مســعود ثم جـــاء فقـــال: قد طلعت الحمراء يعني الشمس فقال حذيفـة: أعـوذ بالله من صباح إلى النار».

سكرات الموت

للموت سكرات يلاقيها كل إنسان قـال تعالى: [**وَجَـاءَتْ سَـكْرَةُ المَـوْتِ بِـالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**] {ق:19}.

وقد عــانى رســول الله من هــذه الســكرات ففي مــرض موته صــلوات الله وسلامه عليه كـان بين يديه ركـوة فيها مـاء فجعل يـــدخل يـــده في المـــاء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**» رواه البخاري.

ولا شك أن الكافر والفـاجر يعانيـان من الموت أكثر مما يعاني منه المؤمن.

رؤية ملائكة الموت

قــال الكلــبي رحمه اللــه: «يقبض ملك المـــوت الـــروح ثم يســـلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً وإلى ملائكة العــذاب إن كان كافراً».

روى الإمـام أحمد وغـيره ــ وهو حـديث صحيح ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قـال: خرجنا مع رسـول الله في جنـازة رجل من الأنصـــار فانتهينا إلى القـــبر ولما يُلحد جلس رســول الله وجلســنا حوله كـأن على رؤوسـنا الطـير وفي يـده عـود ينكث به في الأرض فرفع رأسه فقــــــال: «**اســتعيذوا بالله من عــذاب القــبر مـرتين أو ثلاثـاً – ثم قـال: إن العبد المــؤمن إذا كــان في انقطــاع من الـدنيا وإقبـال من الآخـرة نـزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كـأن**

وجــوههم الشــمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك المــوت حــتى يجلس عند رأسه فيقـــــــول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قـــال: فتخـــرج تســـيل كما تســـيل القطــرة من فيّ الســقاء فيأخــذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حـــتى يأخـــذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض. وإن العبد الكـــــــافر إذا كـان في انقطـاع من الـدنيا وإقبـال من الآخـــرة نـــزل إليه من الســـماء ملائكة سـود الوجـوه معهم المسـوح فيجلســـون منه مـــدَّ البصر ثم يجيء ملك المــوت حــتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى ســـخط من الله وغضب قـــال: فتفـــرّق في جســـده فينتزعها كما يُنتزع السفّود من الصـوف المبلــول فيأخذها فـإذا أخـذها لم يـدعوها في يـــده طرفة عين حـــتى يجعلوها في تلك المسوح ويخـرج منها كـأنتن ريح جيفة وجــــــدت على وجه الأرض.... الحديث».

تخيير الأنبياء عند الموت

عنـدما يحضر الأنبيـاء المـوت فـإن الله يريهم ما لهم من عنـده من الثـواب الجزيل والأجر العظيم ثم يُخيّــرون بين البقــاء في الدنيا والانتقال إلى ذلك المقـام الكـريم ولا شك أن كل رســول يفضّـــل النعيم المقيم وقد حدث ذلك لرسولنا محمد فاختار ما عند الله عز وجل بقوله : **«اللهم في الرفيق الأعلى»** بعدما رفع سـبابته ورفع بصره حتى قبض الله روحه .

ما يشرع عند الاحتضار

اعلم رحمـني الله وإيـاك وجعل ختـام كلامنا في الـــدنيا التوحيد أن هنـــاك بعض الأمـــور المشـــروعة عند احتضـــار الميت ومنها:

1- هـدوء وسـكون من كـان عند المحتضر لأنه يرى ما لا يراه غيره.
2- ذكر الله عز وجل وتلقينه كلمة التوحيد برفق ووضوح لينطق بها.
3- الدعاء من الحاضرين لأن الملائكة تؤمن على دعائهم.
4- تـــرطيب فم المحتضر وتبليله بالمـــاء للحاجة.
5- توجيه المحتضر للقبلة.
6- إذا فـارق الحيـاة تغمض عينـاه ويغطى وجهه.
7- يغسله مغسِّل ماهرٌ أمين.

8- الإســـراع في تجهـــيزه والصـــلاة عليه ودفنه.
9- إنفاذ وصيته وسداد دينه.
10- الدعاء له بالرحمة والمغفرة.

بعض أحوال المحتضرين

- هارون الرشـيد ينتقي أكفانه بيـده عند إلمــوت وكـــان ينظر إليها وهو يقــول: «ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه».
- المأمون افترش رماداً واضـطجع عليه وقـــال: يا من لا يـــزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.
- الحجــاج يقــول عند موتــه: اللهم اغفر لي فــإن النـــاس يقولــون: إنك لا تغفر لي فكان عمر بن عبدالعزيز تعجبه هـذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال: أقالها؟ قيل: نعم فقال: عسى.
- لما حضرت الوفاة بلال بن رباح قـالت امرأته: واحزنـاه فقـال بلال: واطربـاه غـداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.
- فتح عبدالله بن المبــــــارك عينيه عند وفاته وضـــحك وقـــال: لمثل هـــذا فليعمل العاملون.

خاطرة إيمانية

وصف ربنا تبـــارك وتعـــالى في كتابه العظيم الدنيا بصـفات الـذم بأمثـال عديـدة لبيان ذلك وقد جعل الله هذه الــدنيا مزرعة للخير أو الشر وحصاده عندما تُنـتزع الـروح من أخمص القـــدمين إلى الســـاقين وتلتف

الســاقان إلى الحقــوين إلى الصــدر وفيه حشــرجة وإلى القلب فيضــغطه ضــغطة فيخـرج ما فيه وينطق لسـانه وتخـرج روحه ثم تتبع روحه بصــره إلى الســماء ثم إلى فريقين أهل الإيمان وأهل العصـيان ثم تـرد روحه في قــبره فإما نعيم وإما عــذاب إلى قيام الساعة ثم يُرى سبيله بعد ذلك.

حياة البرزخ

الــبرزخ في كلام العــرب الحــاجز بين الشيئين.

الـبرزخ في الشـرع: الـدار الـتي تعقب المــوت إلى البعث قــال تعــالى: [**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَــرْزَخٌ إِلَى يَــوْمِ يُبْعَثُــونَ**] {المؤمنون:100}.

العوالم أربعة وكل عـالم منها له طريقة وأحوال يختلف عن العالم الآخر:

1- عالم الرحم. 2- عالم الدنيا.

3- عالم البرزخ. 4- عالم الآخرة.

هَول القبر وفظاعته

روى هـانىء مـولى عثمـان بن عفـان قـال: كـان عثمـان رضي الله عنه إذا وقف على قــبر بكى حــتى يبل لحيته فقيل لــه: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القـبر أول منزلة من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعــده أيسر منه وإن لم ينج**

منه فما بعـــــــده أشد منه وما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منـه» رواه الترمذي وحسن إسناده الألباني.

ظلمة القبر

قـال النـبي في قصة المـرأة الـتي كانت تقمُّ المسجد عندما ماتت ولم يخبروه ودفنوها فطلب منهم أن يدلُّوه على قبرهـا: **«إن هذه القبـور مملـوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم»** رواه البخاري ومسلم.

ضمة القبر

ضـمة القبـر لازمة لكل إنسـان حـتى الصـبيان فـإنهم لا ينجـون منها ففي معجم الطـبراني الكبـير عن أبي أيـوب الأنصـاري رضي الله عنه أن رسول الله قال: **«لو أفلت أحد من ضـمة القـبر لنجا هـذا الصبي»**.

وروى الإمـام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنه أن رســـول الله قـــال: **«إن للقبر ضغطة لو كـان أحد ناجيـاً منها نجا سعد بن معاذ»**.

فتنة القبر

الأصل في الفتنة الاختبــار فــإذا وضع العبد في قبره وانصرف الناس وسمع قـرع نعـالهم جـاءه الملكـان على صـورة منكـرة فيجلسـانه ويسـألانه من ربـك؟ وما دينـك؟ ومن نبيـــك؟ فيجيب المـــؤمن فيلقى النعيم

ويخيّب الكافر فيلقى الجحيم.

ثبات المؤمن في فتنة القبر

إن آخر الفتن التي تُعرض على المؤمن فتنة القبر قال الله عز وجل: [**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَة**] {إبراهيم: 27} فيكون الثبات للمؤمن في قبره نسأل الله بمنه وكرمه أن يثبتنا عند السؤال... آمين...

مسائل الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

ذكر شيخنا الشيخ خالد الهويسين حفظه الله عدة مسائل تتعلق بالإيمان بعذاب القبر ونعيمه ومنها:

1- أن عذاب القبر ونعيمه من جملة اعتقاد أهل السُّنة والجماعة.

2- أن من أنكر عذاب القبر ونعيمه يكفَّر كفراً أكبر مخرجاً من الملة.

3- دل على عذاب القبر ونعيمه السُّنة الصحيحة المتواترة.

4- الناس في القبر على أصناف ثلاثة وهي:

- صنف عذابه في القبر دائم وهم الكافرون والمنافقون.
- صنف ينعَّمون ولا يعذَّبون في القبر وهم المؤمنون.
- صنف يعذّبون في القبر ويُرفع عنهم وهم المذنبون من المؤمنين.

5- الـدعاء من وسـائل غفـران الـذنوب للميت في قـــــبره وكــــــذلك العمل والابن الصالح.

6- دلت النصـــوص الصـــحيحة أن عامة عذاب القبر في ثلاثة:

- الغيبة. - النميمة.

- البول[1]

7- في القــبر إذا عــذِّبت الــروح عــذِّب البدن وإذا نُعُمت الروح نُعِّم البدن.

8- ثبت في صــحيح مســلم وغــيره أن النـبي أمر بالاسـتعاذة من عـذاب القـبر ثلاث مرات ويتأكد في الصلاة.

9- جاء في الأحاديث الصحيحة أن الذين يسألان هما ملكان أسودان أزرقان اسمهما منكر ونكير.

10- عذاب القبر ونعيمه من أمور الغيب الذي يجب الإيمان والتصديق بهما.

سماع أصوات المعذبين

وهذه المسألة على قسمين وهما:

1- ســــماع الرســـول أصــــوات المعذبين:

وهــــــذا لأن الله عز وجل أعطى نبيه القـدرة على سـماع المعـذبين في قبـورهم ففي صـحيح البخـاري ومسـلم وغيرهما عن أبي أيــوب الأنصــاري رضي الله عنه قــال: خرج رسـول الله بعـدما غـربت الشـمس فسـمع صـوتاً فقـال: «**يهـود تعـذب في قبورها**».

---

1 (?) أي عدم التنزه من البول.

2- سماع غير الرسول أصوات المعذبين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومناماً ويعلمون ذلك ويتحققونه وعندنا من ذلك أمور كثيرة».

الذين يُعصمون من فتنة القبر

ذكر شيخنا الشيخ خالد الهويسين حفظه الله أن الذين يعصمون من فتنة القبر هم:

1- الأنبياء والرسل: ورد دليل صريح بذلك.
2- الشهداء: ورد دليل صريح بذلك.
3- المرابطون: ورد دليل صريح بذلك.
4- الصديقون: من باب أولى بعد الشهداء.
5- الصغار: مختلف فيهم.
6- المجانين: أمرهم إلى الله.

وأضاف الشيخ عمر بن سليمان الأشقر حفظه الله:

8- الذي يموت يوم الجمعة.
9- الذي يموت بداء البطن.

العذاب والنعيم في البرزخ على الروح أم على البدن ؟!

قال شيخنا الشيخ وليد بن راشد السعيدان حفظه الله: «الدور ثلاث: فأما الدنيا فعذابها على البدن أصلاً وتدخل معه الروح تبعاً وأما في البرزخ فعذابها على الروح أصلاً ويدخل معها البدن تبعاً وأما في الآخرة فعلى الروح والبدن معاً سواءً بسواء».

هل تتلاقى أرواح الأموات مع بعضها؟

قال ابن القيم رحمه الله: «هذه مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح معذّبة وأرواح منعّمة. فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي والأرواح المنعّمة المرسلة غير محبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد ﷺ في الرفيق الأعلى».

هل تتلاقى أرواح الأموات مع الأحياء؟

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادهم».

وقد ذهب ابن القيم رحمه الله على أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تتلاقى كما تتلاقى أرواح الأحياء.

مستقر الأرواح في البرزخ

أرواح العباد في البرزخ متفاوتة في منازلها وتنقسم إلى الأقسام التالية:

1- **أرواح الأنبياء:** وهم في خير المنازل في أعلى عليين في الرفيق الأعلى.

2- **أرواح الشهداء:** وهم أحياء عند ربهم

يرزقــون وأرواحهم في أجــواف طــير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تســرح من الجنة حيث شـــاءت ثم تـــأوي إلى تلك القناديل وهـذا في الشـهداء الـذين ليس عليهم دين، وأما غــيرهم ممن لم تســدد ديــونهم فــإن أرواحهم تحبس عن دخول الجنة حتى يسدد دينهم.

3- **أرواح المؤمنين الصـالحين:** تكـون طيــوراً تأكل من شــجر الجنة حــتى يرجعها ربها إلى جسدها يوم القيامة.

الفـــــرق بين أرواح الشـــــهداء وأرواح المؤمنين الصالحين: أن أرواح الشـهداء في حواصل طير خضر تسـرح في الجنة وتـأوي إلى قناديل معلقة بـــــــالعرش وأما أرواح المؤمــنين في أجــواف طــير تأكل من ثمر الجنة ولا تنتقل في أرجائها.

4- **أرواح العصـاة:** جـاءت النصــوص التي تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب مثل من يكـذب ومن ينــام عن الصــلاة والزنــاة ومن يأكل الربا وغيرهم إلى قيام الساعة.

5- **أرواح الكفّـار:** تخــرج بــأنتن ريح وأسوأ اسم ثم ترمى من الســماء فتســقط في الأرض في نــار جهنم بعــدما يُفتح بابها وتجمع مع أرواح الكفار.

هل يعلم الإنسان شيئاً عن أحوال الدنيا بعد الموت؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللــه: «تبيّن النصوص أن الميت يسمع كلام الحي ولا يجب أن يكـــون الســـمع له دائمـــاً بل

يسـمع في حـال دون حـال كما قد يعـرض للحي فإنه يسمع أحياناً خطـاب من يخاطبه وقد لا يسمع لعـارض يعـارض لـه؛ فـالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى فإنه لا يمكنه إجابة الـداعي وامتثـال ما أمر به ونهى عنه فلا ينتفع بالأمر والنهي».

خاطرة إيمانية

تأمل رعاك الله بأنك تنـادى في الـدنيا بـأحب الأسـماء إليك فـإذا فـارقت الـروح البدن ترك اسمك وتسمى جثةً فإذا غُسِّـلت وكُفِّنت وصُـلي عليك ورُفعتَ على الأكتـاف تسـمى جنـازة نسـبوك إلى الخشـبة الـتي تُحمل عليها فإذا وضـعتَ في اللحد وصُـفَّتِ عليك اللَّبِنات وحُـثي عليك الـتراب ودفنـوكَ وتركـوكَ وفي القـبر لحـدوكَ تسـمى ميتـاً؛ فهنيئاً لمن نوديت روحه في السماء بأطيب الأســــماء وطيبت بـــــأطيب ريح وتنعمت بأطيب نعيم وفُسح له في قبره مـدَّ بصـره من النعيم فيقـول رب أقم السـاعة، نسـأل الله من فضله ورحمته.

التعريف بالقيامة الكبرى

يوم القيامة الكبرى: يوم معلوم عند رب العـالمين يُعيد الله فيه خلق العبـاد ويبعثهم ويـــــوقفهم بين يديه ويحاســــبهم على ما قدموه في كتاب لا يغادر صـغيرة ولا كبـيرة إلا أحصاها عليهم حتى الذرَّة والهمز والغمز واللمز واللفظ ويُظهر ما في الســـــــرائر

[**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**] {الحاقّة:18} فهذا الموقف العظيم لا ينجو العبد منه إلا بالإيمان والأعمال الصالحات ثم يساق العباد إلى دار القرار إما إلى الجنة وإما إلى النار.

أسماء يوم القيامة

ذكر جل وعلا في كتابه العظيم وذكر نبيه ﷺ في سنته المطهّرة أسماءً كثيرة ليوم القيامة.

فهذه الأسماء العظيمة جمعت فيها المعاني التي تليّن القلوب وتقشعر منها الجلود ويشيب منها رأس كل مولود.

ومن القواعد المقررة في أسماء يوم القيامة «أن أسماء يوم القيامة مترادفة من حيث الذات ومتباينة من حيث الصفات».

معنى القاعدة: إذا نظرت إلى أسماء يوم القيامة من حيث دلالة جميعها وجدتها تدل على يوم واحد لأنه ليس كل اسم منها يدل على يوم خاص ولكن إذا نظرت إلى صفات هذه الأسماء وجدت أن كل اسم منها يتضمن صفة لا يدل عليها الاسم الآخر فمثلاً :

- **القارعة:** لأنها تقرع القلوب.
- **الصاخة:** لأنها تصخ الأذان.
- **الواقعة:** لأنها واقعة لا محالة مالها من دافع.

وعـدّ بعض العلمـاء أسـماء يـوم القيامة ومنهم الغزالي والقرطبي كما نقل ذلك ابن حجر العسقلاني فكانت «خمسين اسماً».

ومن هذه الأسماء: يـوم القيامة – اليـوم الآخر- السـاعة- يـوم البعث- يـوم الخـروج- يوم الفصـل- يـوم الـدين- الطامة الكـبرى- يوم الحسرة- الغاشية – يوم الخلـود – يـوم الحسـاب- يـوم الوعيد – يـوم الآزفة – يـوم الجمع- يوم الحاقة- يوم التلاق- يوم التناد – يوم التغابن...

النفخ في الصور

منذ أن أهبط جل وعلا آدم وحـــــــواء عليهما السلام من السماء إلى الأرض وبــدأ الصــراع والأحــداث والوقــائع ما بين الحق والباطل على هـذه الأرض على مـدار هـذه السـنين المديـدة فتقف الحركة في الأرض والسماء عندما ينفخ في الصور ويصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله قال تعـالى: [**وَنُفِخَ فِي الصُّـورِ فَصَـعِقَ مَنْ فِي السَّـــمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَــإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**] {الزُّمر:68}.

وقد جـاء في البخـاري من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعـاً إلى النـبي قوله «**ولتقــومنّ السـاعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يبيعانه ولا يطويانه ولتقـــومنّ الســـاعة وقد انصـــــــرف الرجل بلبن لقحته فلا**

يطعمه ولتقـومنّ السـاعة وهو يليط حوضه فلا يسـقي فيه ولتقـومنّ السـاعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها».

الصور الذي ينفخ فيه

الصـور في لغة العـرب: «قـرن عظيم الخِلقة» وقد ذكر البخـاري في صـحيحه عن مجاهد بن جبر المكي أن الصور مثل البـوق فـإذا نَفخ فيه صـاحب الصـور النفخة الأولى يصـعق من في السـماوات ومن في الأرض إلا من شـاء الله سـبحانه وإذا نَفخ فيه صاحب الصـور النفخة الثانية ذهبت كل روح إلى جسده وقد قـال رسـول الله عنـدما سُـئل عن الصـور فقـال: «**الصـور قـرن ينفخ فيـه**» رواه الترمـذي وأبو داود وصححه الألباني.

النافخ في الصور

قـال ابن حجر العسـقلاني: «اشـتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام».

والـذي لا إله غـيره إن السـاعة قريبة وأصبح إسـرافيل مسـتعداً للنفخ في الصـور فقد روى عبدالله بن المبـارك في كتابه الزهد والترمـذي في سـننه وأبو نعيم في الحلية وأبو يعلى في مسنده وابن حبان في صـحيحه والحـاكم في المسـتدرك وصـححه الألباني عن أبي سـعيد الخـدري قـال: قـال رسـول الله : «**كيف أنعم وقد التقم صـاحب القـرنِ القـرنَ وحـنى جبهته**

وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ. قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: **قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله ربنا»**.

اليوم الذي ينفخ فيه الصور

سيد الأنبياء والمرسلين هو محمد وسيد الأيام في الأسبوع هو يوم الجمعة وقد أخبرنا سيد ولد آدم أن اليوم الذي ينفخ فيه الصور هو سيد الأيام من الأسبوع فقد قال رسول الله «**إن من أفضل الأيام يوم الجمعة فيه خُلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فإن صلاتكم معروضة عليَّ**» رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والبيهقي من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.

المدة التي ما بين النفختين

الذي يظهر أن إسرافيل ينفخ في الصور مرتين:

- النفخة الأولى: يحصل فيها الصعق.
- النفخة الثانية: يحصل فيها البعث

وقد سمى سبحانه وتعالى في القرآن النفخة الأولى «الراجفة» وسمى الثانية «الرادفة» وذلك في قوله تعالى [**يَوْمَ**

تَرْجُـفُ الرَّاجِفَـةُ] {النَّازعـات:6}. وقد سـمى سـبحانه وتعـالى في القـرآن أيضـاً النفخة الأولى «الصـيحة» وسـمى الثانية «النفخ بالصور» وذلك في قوله تعالى: [**مَا يَنْظُـرُونَ إِلَّا صَـيْحَةً وَاحِـدَةً تَأْخُـذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّـمُونَ * فَلَا يَسْـتَطِيعُونَ تَوْصِـيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُـونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّـورِ فَـإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْـدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِـلُونَ**]. {يس: 49-51}.

وقد جـاءت الأحـاديث النبوية مصـرحة بالنفختين والمدة بينهما وقد جاء في صحيح البخاري ومسـلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه عن النـبي قـال: «**ما بين النفختين أربعـون**» قـالوا: يا أبا هريـرة أربعون يوماً. شهراً. سـنة قـال: أبيت. قـال ابن حجر رحمه الله في كتابه فتح البـاري: «زعم بعض الشـرّاح أنه وقع عند مسـلم (أربعين سنة) ولا وجود لذلك وقد أخـرج بن مردويه من طريق سـعيد بن الصـلت عن الأعمش في هـذا الإسـناد قـولهم (أربعـون سـنة) وهو شـاذ من وجه ضـعيف عن ابن عباس قال: (ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة) وقد أخـرج بن مردويه من طريق زيد بن أسـلم عن أبي هريـرة قـال: (ما بين النفخـتين أربعـون) قـال ابن الـتين: يحتمل أيضـاً أن يكـون علم ذلك لكن سـكت ليخـبرهم في وقت أو اشـتغل عن الإعلام حينئذ».

الذين لا يصعقون عند النفخ في الصور

ذكر جل وعلا في كتابه العظيم أن بعض من في الســـــــموات ومن في الأرض لا يصعقون عندما يُصعق من في السموات ومن في الأرض قــال تعــالى: [**وَنُفِخَ فِي الصُّــورِ فَصَــعِقَ مَنْ فِي السَّــمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَــاءَ اللـــهُ**] {الزُّمر:68}.

وذهب بعض أهل العلم أن الأولى بالمسلم التوقف في تعيين الذين استثناهم لأنه لم يصح في ذلك نص يدل على المراد.

التعريف بالبعث والنشور

البعث والنشــور: إعــادة الأرواح في الأجسام بعد أمر الله عز وجل إسرافيل أن ينفخ في الصــور وقيــام النــاس أمــام رب العالمين.

وقد أخبر النبي بأن السماء ينزل منها المــاء فتنبت منه الأجســاد وذلك قبل النفخة الثانية وهي «نفخة البعث والنشور».

البعث خلق جديد

يعيد الله العباد أنفسهم ولكنهم يخلقــون خلقــاً مختلفــاً شـيئاً ما عما كـانوا عليه في الحياة الدنيا فمن ذلك:

1- أنهم لا يموتون مهما أصابهم البلاء.
2- يبصرون الملائكة والجن.

3- أهل الجنة لا يبصـقون ولا يتغوطـون ولا يتبولون.
4- تعظم الخِلقة لعظيم النعم أو لعظيم العذاب.

أول من تنشق عنه الأرض

جـاء في صـحيح مسـلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله **«أنا سـيد ولد آدم يـوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر»**.

حشر الخلائق إلى الموقف العظيم

دلت النصـوص من الكتـاب والسُّـنة الصـحيحة أنه يُحشر الخلق جميعـاً الإنس والجن والملائكة واختلف العلمـاء في البهـائم واختـار أبو العبـاس ابن تيمية أن البهـائم تُحشر كما دل على ذلك الكتـاب والسُّنة الصحيحة.

صفة حشر العباد

لا يُبعث العباد في ثيابهم التي كُفِّنوا بها أو مـاتوا فيها وإنما يبعثهـون على حـالتهم التي مـاتوا عليها مـن الإيمـان أو الكفـر، أو اليقين والشك كما يُبعث العبد على العمل الـذي كـان يعمله عند موته ويحشر النـاس حُفـاة عُـراة غُـرلاً غـير مختـونين وبُهمـاً لا شيء معهم.

جـاء في صـحيح البخـاري ومسـلم عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن النـبي قـال: «**إنكم محشـورون حُفـاة عُـراةً غُـرلاً**». ثم قـرأ **[كَمَا بَـدَأْنَا أَوَّلَ خَلْـقٍ**

نُعِيــدُهُ وَعْــدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَــاعِلِينَ] {الأنبياء:104} وعندما سمعت عائشة قول رسول الله قالت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم بعضاً فقال رسول الله **«يا عائشة الأمر أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض»**.

كسوة العباد يوم المعاد

يُكسى العباد كما صحت بذلك الأحاديث بأن الصالحين يكسون الثياب الكريمة ويُكسى الطالحون بسرابيل القطران ودروع الجرب ونحوها من الملابس المنكرة الفظيعة.

وأول من يكسى من عباد الله نبي الله إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام كما صح في ذلك الأحاديث.

والسبب في ذلك لأنه أول من لبس السراويل إذا صلى بالغ في التستر ويحتمل أنه عندما ألقي في النار أنهم جردوه من ملابسه فجزاه الله بأنه أول من يكسى على رؤوس الخلائق أماناً له وليطمئن قلبه وإكراماً بفعله عليه السلام.

أرض المحشر

يُحشر العباد يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد ولم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط وليس فيها لابن آدم إلا موضع قدميه وهي في أرض الشام كما جاء في ذلك الأحاديث.

خاطرة إيمانية

اعلم رحمـني الله وإيـاك بـأن الله جل وعلا إذا أراد أمراً عظيماً قـدم له مقـدمات عظيمة فيـوم القيامة تنـوّعت فيه الأسـماء والصـفات لـذلك اليـوم العظيم وينفخ في الصور إيـذاناً بقـرع أبـواب نهاية الحيـاة في الأرض والسماء وتجـري الأهـوال والأحـداث إلى أن يقف النـاس في موقف عظيم أمـام رب العــالمين ليس بين العبد وبين ربه جل وعلا ترجمــان فهل تــزودت لهــذا الموقف العظيم بالإيمان والأعمال الصالحات؟!!!.

وقت تبديل الأرض والسموات

جاء في صحيح مسـلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سـألت رسـول الله عن قوله عز وجل [**يَـوْمَ تُبَـدَّلُ الأَرْضُ غَيْـرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**] {إبراهيم:48} فأين يكـــــــون النـــــــــــــاس يا رسول الله ؟ فقال: «**على الصراط**».

إذاً بهـذا يكـون وقت تبـديل السـموات والأرض وهو وقت مـــــرور النـــــاس على الصــراط أو قبل ذلك بقليل وقــال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في الآية: «يـزاد فيها وينقص منها ويـــــذهب آكامها وجبالها وأوديتها وشـــــــــــجرها وتمد مد الأديم العكاظي».

المكذبون بالبعث والنشور

المكذبون بالبعث والنشور في الحقيقة بـأنهم يكـذبون الله ورسـوله بما يكـون يوم المعاد، ويصنَّف هؤلاء المكذبون بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف:

1- الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق وينكـرون النشـأة الأولى والثانيـة. فهـؤلاء يناقشـون في وجـود الخـالق ووحدانيته ثم يناقشون إثبات المعاد لأنه فرع من الإيمـان بالله عز وجل.

2- الذين يعترفون بوجود الخالق ولكنهم يكذبون بالبعث والنشـور، ومن هـؤلاء كفـار العـرب الـذين يـدّعون أنهم يؤمنـون بالله ولكنهم يـدّعون أن الله يعجز عن إحيـائهم بعد موتهم.

3- الــذين يؤمنــون بالمعــاد على غــير الصفة التي جاءت بها الشرائع السماوية.

أدلة البعث والنشور

ذكر جل وعلا في كتابه العظيم الأدلة على البعث والنشـور وكـذلك رسـول الله في السُّــنة الصـحيحة وقد ضـرب سـبحانه وتعـــالى الأمثـــال وذكر الأخبـــار ورد على منكري البعث والنشور ومن ذلك:

1- إخبـــار العليم الخبـــير بوقـــوع يـــوم القيامة.

2- الاســـتدلال على النشـــأة الأخـــرى بالنشأة الأولى.

3- القـادر على خلق الأعظم قـادر على خلق ما دونه.

4- القـدرة على تحويل الخلق من حـال إلى حال.

5- إحياء بعض الأموات في الحياة الدنيا.

6- إحياء الأرض بالنبات.

7- حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب.

اتفاق جميع الأنبياء على الإخبار بالمعاد

الإيمـان بيـوم القيامة والجنة والنـار من أصـول الإيمـان الـتي يشـترك فيها الأنبيـاء جميعـاً في شـرائعهم وقد جـاء في القـرآن العظيم بيان ذلك ومنها:

1- أخــبر القــرآن عن جميع الأشــقياء الكفار أهل النـار أنهم يقـرون بـأن رسـلهم أنذرتهم باليوم الآخر وكذبوهم.
2- عنـــــدما أهبط الله آدم إلى الأرض عرّفه البعث والمعاد.
3- أول الرسل نــوح فحــذّر قومه بيــوم القيامة وضرب لهم الأمثلة.
4- أبو الأنبيـاء إبـراهيم ذكر اليـوم الآخر كثيراً.
5- مناجـــاة موسى ومحاورته لفرعـــون ذكر فيها اليوم الآخر.
6- هـود وقد أنـذر قومه وخـوَّفهم بلقـاء ربهم فكذبوه.

اليوم الآخر في كتب أهل الكتاب

لا شك أن الكتب السـماوية الـتي أنزلها الله تبارك وتعالى فيها نصوص تـذكر اليــوم الآخر والتخويف من النـــار وأهـــوال يـــوم القيامة إلا أن هـــــذه الكتب طـــــرأ عليها التحريف.

الدلائل على عِظم أهوال يوم القيامة

يـوم القيامة يـوم عظيم وأمـره شـديد ويدل على ذلك:
1- وصف الله لذلك اليوم بالعظم.
2- الـرعب والفـزع الـذي يصـيب العبـاد في ذلك اليوم العظيم.
3- انقطاع علائق الأنساب يوم القيامة.

4- استعداد الكفّار يـوم القيامة لبـذل كل شيء في سبيل الخلاص من العذاب.

5- طول يـوم القيامة في خمسـون ألف سنة.

بعض معالم أهوال يوم القيامة

ذكر جل وعلا في كتابه العظيم وذكر نبينا محمد في سـنته المطهّـرة معـالم ذلك اليوم العظيم عندما تتغـير الأرض غـير الأرض والسموات غـير السـموات فـالأرض يصـيبها الـزلازل وتنـدك والسـماء تتشـقق وتمور والجبال تُسيّر وتُنسف والبحـار تُفجّر وتُسـجَّر والشـمس تكـوّر وتـذهب والقمر يُخسف والنجـوم تنكـدر ويـذهب ضـوؤها وينفـرط عقـدها وغيرها من معـالم أهـوال يوم القيامة. فهذه التغـيرات والأهـوال منها تغيرات علوية ومنها تغيرات سفلية.

قبض الأرض وطي السماء

يقبض الله تبـارك وتعـالى الأرض بيـده يوم القيامة ويطوي السـماوات بيمينه قـال تعـالى: [**وَمَا قَـدَرُوا اللـهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**] {الزُّمر:67}.

جـاء في الحـديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله «**يقبض الله الأرض يـــوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقـول: أنا الملك أين ملوك الأرض**». وهـذا القبض

منه جل وعلا بعدما يحشر النــاس في أرض المحشر.

والملك ينقسم إلى قسمين وهما:

1- ملك حقيقي: وهو الملك لله عز وجل فله ملك ما في الســـــموات وما في الأرض.

2- ملك صـوري: وهو ملك الإنســان في الدنيا فإذا مات انتهت الملكية.

دك الأرض ونسف الجبال

الأرض وما عليها من جبـال راسـيات إذا نفخ في الصـور تُـدك دكـةً واحـدة فتكـون الجبــال الراســيات رمــالاً ناعمة وصــوفاً خفيفـــاً وتســيَّر وتُنسف ثم تكـــون الأرض بارزة ظـاهرة لا مرتفع فيها ولا منخفض ولا اعوجاج ولا نتـوءات كما وصف كل هـذا ربنا تبارك وتعالى في كتابه العظيم.

تفجير البحار وتسجيرها

من أهوال يوم القيامة العظيمة أن هذه البحار الواسعة تتفجَّر وتسجَّر وتشتعل نـاراً ويرتفع منها اللهب كما قال تعالى في كتابه العظيم: [**وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ**] {الانفطار: 3} وقال تعـالى: [**وَإِذَا الْبِحَـارُ سُـجِّرَتْ**] {التَّكــوير:6} وقـــال تعــالى: [**وَالبَحْــرِ المَسْجُورِ**] {الطُّور:6}.

موران السماء وانفطارها

هذه السماء التي رُفعت من غير عمد ولا ترى فيها عيباً ولا شقوقاً تمور وتدور يوم القيامة كما يدور الرحى وتفتَّح وتضطرب وتنفطر وتتشقق ويتغير لونها تارة حمراء وتارة صفراء وتارة خضراء وتارة زرقاء كما وصف كل هذا ربنا تبارك وتعالى في كتابه العظيم.

تكوير الشمس وخسوف القمر وتناثر النجوم

هذا الخلق البديع وهو خلق الشمس والقمر والنجوم في هذه السماء العظيمة يحدث لها تغيرات هائلة يوم القيامة فالشمس تُكوّر والقمر يُخسف وتجمع وتُرمى في البحار وتشتعل ناراً ثم تُرمى في نار جهنم لأن من الناس من يعبدها من دون الله وقد قال تعالى: [**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**] {الأنبياء:98} وأما النجوم التي كانت زينة السماء وهداية المسافرين ورجوماً للشياطين فإنها تنحل عقدها فتتساقط وتتناثر فلا يبقى إلا وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

خاطرة إيمانية

قال القرطبي: روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : «**من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ [إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ]، [إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ]، [إِذَا السَّمَاءُ**

انْشَقَّتْ]» رواه الترمذي والحاكم وأحمـد، قال الألباني: حديث صحيح.

وقد وُصِف ذلك اليوم العظيم في هذه الأبيات فرحم الله كاتبها وقارئها:

مثّل لنفسك أيها	**يوم القيامة**
إذْ كوّرتْ شمس	**حتى على رأسِ**
وإذا النجوم تساقط	**وتبدّلت بعد الضِياء**
وإذا البحار تفجّرت	**ورأيتَها مثل الجحيم**
وإذا الجبال تقلّعت	**فرأيتها مثل**
وإذا العشار تعطلت	**خلت الديار فما بها**
وإذا الوحوش لدى	**وتقول للأملاك اين**
وإذا تقاة المسلمين	**من حور عين زانهنّ**
وإذا المؤودة سُئلت	**وبأي ذنب قتلها**
وإذا الجليل طوى	**طي السجل كتابه**
وإذا الصحائف	**وتهتكت للمؤمنين**
وإذا السماء	**ورأيت أفلاك**
وإذا الجحيم تَسعّرتْ	**فلها على أهل**
وإذا الجنان	**لفتى على طول**
وإذا الجنين بأمه	**يخشى القصاص**
هذا بلا ذنب يخاف	**كيف المصر على**

ذلّة الكفّار وهوانهم وحسرتهم ويأسهم

المتأمل في نصـوص الكتـاب والسُّـنة يجد أن الأهـوال والمصـائب العظيمة تـنزل بالكفـار المجـرمين فـإذا نفخ إسـرافيل في الصـــور يخرجـــون من قبـــورهم خـــائفين أبصارهم شاخصة وقد ألبسوا الذل والهوان

يقصدون إلى مصدر الصوت بسـرعة وقـوة مثل ما كـــانوا يفعلونه إذا ذهبـــوا إلى من يعبـدونهم من دون الله في الـدنيا الحقـيرة فيأتي هؤلاء الكفـار مقرّنة أيـديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد من الأغلال والسلاسل ويسـحبون على وجـوههم وعليهم اللبـاس من القطران وقد علاهم عرقهم وسـاخ في الأرض والشمس قريبة منهم على قدر ميل وقد أصابتهم الحسـرة ودخل عليهم اليـأس وأيقنوا أنَّ ذنبهم غير مغفـور وعـذرهم غـير مقبـــول ويتمنـــون المـــوت ولا مـــوت لهم ويتمنون الراحة ولا راحة لهم.

إحباط أعمال الكفّار

أعمـال الكفـار الـتي فيها بغي وفسـاد وطغيان لا يرجون الكفار من ورائها خير ولا ثواب وأما أعمالهم التي فيها صـلة الأرحـام والصـدقات والعتـاق والإنفـاق في سـبيل الخير فيظنون أنها تنفعهم ولن تنفعهم يـوم القيامة بل شــــــبهها جل وعلا في كتابه بالسراب للظمآن وبالريح الشـديدة البـاردة الـتي تهب على الـزروع المثمـرة فتهلكها وكالرمـــاد الـــذي ذرّته الـــريح الشـــديدة والمقصـود من ذلك كله أنها لا تنفعهم أبـداً فقد روى مسـلم في صـحيحه عن عائشة رضي الله عنها قـــالت: يا رســـول الله عبدالله بن جـدعان كـان في الجاهلية يصل الـرحم ويطعم المسـكين فهل ذاك نافعـه؟ فقـال رسـول الله ﷺ : «**لا ينفعه إنه لم يقل يومـاً: رب اغفر لي خطيئـتي يوم الدين**».

تخاصم أهل النار

عندما يعـاين الكفّـار النـار بعين اليقين وما أُعد لهم من العـــذاب فيها يمقتـــون أنفســـهم أشد المقت ويمقتــون أحبــابهم وخلاّنهم في الحيـاة الـدنيا بل لأن كل محبة لم تقم على أسـاس من الإيمـان تنقلب إلى عــداوة في ذلك اليــوم العظيم فأهل النــار يخاصم بعضـهم بعضـاً ويحـاج بعضـهم بعضاً العابــدون والمعبــودون والأتبــاع والســادة والمتبعون والضـعفاء والمتكـبرون والإنسـان وقرينه بل يخاصم الكـافر أعضـاءه من بدنه وقد ذكر هــذه المشــاهد ربنا جل وعلا في كتابه العظيم وفي ســنة ســيد الأنبيـــاء والمرسلين .

الذين لا يؤدون الزكاة

جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله : «**من آتــاه الله مــالاً فلم يــؤد زكاته مُثِّل ماله يوم القيامة شـجاعاً أقــرع له زبيبتــان يطوقه يــوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيــه: يعــني شــدقيه ثم يقول: أنا مالك أنا كـنزك ثم تلا: [وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّــهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَـلْ هُـوَ شَـرٌّ لَهُمْ سَـيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُــوا بِــهِ يَــوْمَ الْقِيَامَةِ]** {آل عمران:180} ».

وجاء في صحيح مسـلم عن أبي هريــرة رضي الله عنه قــال: قــال رســول الله «**ما من صــــاحب ذهب ولا فضة ولا**

يـــؤدي منها حقها إلا إذا كـــان يـــوم القيامة صـفّحت له صـفائح من نــار فأحمي عليها في نــار جهنم فيكـوى بها جنبه وجبينه وظهـره كلما بـردت أعيــــدت عليه يـــوم كـــان مقـــداره خمسـين ألف سـنة حـتى يُقضى بين العبــاد فـــيرى ســبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار... الحديث».

المتكبرون

عنـــــدما يبعث الله العبـــــاد يُحشر المتكـبرون في صـورة مهينة ذليلة جـاء في سـنن الترمـذي عن عمـرو بن شـعيب عن أبيه عن جـده قـال: قـال رسـول الله : **«يُحشر المتكـبرون أمثـال الـذر يـوم القيامة في صـور الرجـال يغشـاهم الذل من كل مكان»** رواه الترمذي وقال الألباني: إسـناده حسن والـذر صـغار النمل وصـــغار النمل لا يعبأ به النـــاس فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون.

ذنوب لا يكلم الله أصحابها ولا يزكيهم

جاءت نصوص كثيرة تـرهّب من ذنـوب توعد الله من ارتكبها بـــأن لا يكلمه يـــوم القيامة ولا يزكيه وله عـــــــذاب أليم فمن هؤلاء:

1- الـــذين يكتمـــون ما أنـــزل الله من الكتــاب وهم الأحبــار والرهبــان والعلمــاء الـــذين يكتمـــون العلم إرضـــاءً للحكّــام أو تحقيقاً لمصلحة أو طلباً لعرض دنيوي.
2- العاق لوالديه.
3- المسبل إزاره.
4- المنفق سلعته بالحلف الكاذب.
5- المنّان.
6- الحلف بالله لاقتطـــاع مـــال امـــرئ مسلم.
7- الشيخ الزاني.
8- الملك الكذّاب.

9- العائل المستكبر.
10- الديّوث.
11- المرأة المشبِّهة بالرجال.
12- مانع ابن السبيل فضل ماء عنده.

الأثرياء المنعّمون

الذين يركنون إلى الدنيا ويطمئنـون إليها ويكــثرون من التمتع بنعيمها يُضــيّق عليهم يوم القيامة.

جــاء في ســنن الترمــذي وابن ماجه ومستدرك الحاكم أن الرسول قال لأحد أصـــحابه: «**كف عنّا جشــــاءك فــــإن أكــثرهم شــبعاً في الــدنيا أطــولهم جوعاً يوم القيامة**» قال الألباني: حديث حسن.

وجاء في الصـحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قــال: قــال رســول الله : «**إن المكثرين هم المقلـون يـوم القيامة إلا من أعطاه الله تعالى خـيراً فنفخ فيه بيمينه وشماله وبين يديه وورائه وعمل فيه خيراً**».

وجــــاء في ســــنن ابن ماجة عن أبي ذر رضي الله عنه قـــال: قـــال رســـول الله «**الأكــــثرون هم الأســــفلون يــــوم القيامة إلا من قـــال بالمـــال هكـــذا وهكـذا وكسـبه طيب**». قـال الألبـاني: حسن صحيح.

فضيحة الغادر

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رســـول الله : «**إذا جمع الله الأولين**

والآخرين يوم القيامة يرفع كل غادر لـواء فقيـل: هـذه غـدرة فلان ابن فلان» رواه مسـلم. والغـادر: الـذي يواعد على أمر ولا يفي بـه. واللـواء: الراية العظيمة وتُجعل هـذه الراية عند مؤخرته كما في صحيح مسلم.

الغلول

الغلـول: الأخذ من الغنيمة على وجه الخفية.

وهـذا ذنب يُخفي تحته شـيئ من الطمع والأثرة وقد توعد الله تبـارك وتعـالى الغـال بفضـحه يـوم القيامة على رؤوس الأشـهاد، قـال الله تعـالى: [**وَمَنْ يَغْلُـلْ يَـأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُـلُّ نَفْسٍ مَا كَسَـبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُـونَ**] {آل عمران:161}.

غاصب الأرض

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قـال: قـال رسـول الله ﷺ : «**من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خُسف به يوم القيامة إلى سـبع أرضـين**» رواه البخاري.

ذو الوجهين

شر الناس يوم القيامة المتلـوّن الـذي لا يثبت على حال واحدة وموقف واحد فيـأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

روى البخاري في الأدب المفرد وغـيره عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسـول الله : «**من كـان له وجهـان في الدنيا كان له لسان من نـار يـوم القيامة**».

الحاكم الذي يحتجب عن رعيته

روى أبو داود وابن ماجه والحـاكم بإسـناد صحيح عن أبي مـريم الأزدي قـال: قال رسول الله : «**من ولي من أمور المسـلمين شـيئاً فـاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقـرهم وفـاقتهم احتجب الله عنه يـوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقته وفقره**».

الذي يسأل وله ما يغنيه

يبعث الله عز وجل من كـان يسـأل النـاس وله ما يغنيه وفي وجهه ما يشـوهه من خموش أو كدوش.

جاء في مسند الإمام أحمد عن عمران بن حصـين قـال: قـال رسـول الله : «**مسألة الغنى شـين في وجهه يـوم القيامة**».

البصاق في اتجاه القبلة

جهة القبلة محترمة ومقدّسة ولذا جـاءت الأحـاديث ناهية عن اسـتقبال القبلة واسـتدبارها حـال البـول والغائط ومما نهي عنه كذلك البصاق اتجاه القبلة.

جـاء في مسـند الـبزار وغـيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله

 : **«تبعث النخامة في القبلة يـــوم القيامة وهي في وجه صاحبها»**.

وجــاء في ســنن أبي داود وغــيره عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : **«من تفل تجـاه القبلة جـاء يـوم القيامة وتفله بين عينيه»**.

من كذب في حلمه

روى البخــــاري في صــــحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النـبي قـال: **«من تحلم بحلم لم يــــــره كُلِّف أن يعقد بين شــعيرتين ولن يفعل ومن اســـتمع إلى حـــديث قـــوم وهم له كــارهون أو يفــرون منه صُــبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة»**.

سُـئل الإمـام مالك رحمه الله عن الـذي يكذب في الرؤيا فقال: «أبالنبوة يلعب؟».

خاطرة إيمانية

إن من أعظم الحسرة والندامة أن يأتي العبد يــــوم القيامة وهو محمّل بالــــذنوب والمعاصي وهو يعتقد أنه قد أحسن عملاً ولـذا فـإن أشد ما يحمله العبد يـوم القيامة الأوزار وأنها من أسـباب دخـول دار البـوار: [**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**] {نوح:25}ـ وفي هـذا الـوقت لا تنفع التوبة والاسـتغفار فليحـرص العبد على أن يـزداد من الخير للقاء رب الأرباب يوم التنـاد قـال جل في علاه: [**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الـزَّادِ التَّقْوَى**] {البقرة:197}.

يفزع الناس يوم القيامة

السر العظيم في هذا الأمن الذي يشمل الله به عباده الأتقياء أن قلـوبهم كـانت في الـدنيا عـامرة بمخافة الله فأقـاموا ليلهم وأظمؤوا نهارهم واستعدوا ليوم الوقوف بين يدي الله عز وجل.

فلما كان العبد أكثر إخلاصاً لربه تبارك وتعـالى كـان أكـثر أمنـاً يـوم القيامة فالموحدون المخلصون لهم الأمن التام يوم القيامة.

الذين يظلهم الله في ظله

عنـدما يقف النـاس أمـام رب العـالمين وتدنو الشمس منهم قدر ميل ويتفاوت عرق النـاس فيما بينهم على قـدر أعمـالهم يسـتظل أنـاس تحت ظل عـرش الـرحمن وهـؤلاء ذكـروا في أصـناف متعـددة وربما يجمع الإنسـان بعضـها أو كلها ومن هـؤلاء: «الإمـام العـادل والشـاب الـذي نشأ في طاعة الله والـذي قلبه معلَّق بالمسـاجد والمتحـابون في الله ومن تـرك الفاحشة خوفـاً من الله والمنفق في سـبيل الله في الخفـاء ومن فاضت عينـاه لله وإنظـار المعسر أو الوضع عنه ومن نفس عن غريمه أو محا عنه».

الذين ييسرون على المعسرين

روى البخاري ومسلم في صـحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«كان رجل يداين الناس فكان يقـول لفتـاه: إذا أتيت معسـراً تجـاوز عنه**

لعل الله أن يتجـاوز عنّا قـال: فلقي الله فتجاوز عنه».

المتقون الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا

العـادلون يـوم القيامة في مقـام رفيع يجلســون على منــابر من نــور عن يمين الـــرحمن وكلتا يديه يمين فقد جـــاء في صـحيح مسـلم عن عبدالله بن عمـرو قـال: قـال رسـول الله : «**إن المقسـطين عند الله على منـــابر من نـــور عن يمين الـــرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الـــذين يعـــدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**».

الشهداء والمرابطون

إذا فزع الناس يوم القيامة فإن الشــهيد لا يفزع جـاء في سـنن الترمـذي وابن ماجه عن المقـدام بن معـدي كـرب قـال: قـال رسول الله : «**للشـهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة ويرى مقعـده من الجنة ويجـار من عـذاب القــبر ويــأمن من الفــزع الأكــبر ويوضع على رأسه تـــاج الوقـــار والياقوتة منه خـــير من الـــدنيا وما فيها ويـزوج اثنـتين وسـبعين زوجة من الحور العين ويشفّع في سـبعين من أقربائه**».

كــذلك المرابط في ســبيل الله فإنه يـــأمن من الفـــزع الأكـــبر فقد جـــاء في

الطـبراني بإسـناد صـحيح عن أبي الـدرداء عن النبي ﷺ: «**رباط يوم خير من صـيام دهر ومن مـات مرابطـاً في سـبيل الله أمن من الفـزع الأكـبر وغـدي عليه برزقه وريح من الجنة ويجـــري عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله**».

الكاظمون الغيظ

يوم القيامة يدعو رب العزة والجلال مَنْ كظم غيظه على رؤوس الخلائق ثم يخيِّره من أي الحور العين شاء.

روى الترمذي وأبو داود وحسن إسناده الألباني عن سهل بن معاذ بن جبل عن أبيه قــال: قــال رســول الله ﷺ : «**من كظم غيظاً وهو يقدر أن ينفـذه دعـاه الله على رؤوس الخلائق يــــوم القيامة حــتى يخــيره من أي الحــور العين شاء**».

عتق الرقاب المسلمة

من أعظم الأعمال الكريمة الـتي يتمكن صـاحبها من اقتحـام العقبـات يـوم القيامة عتق الرقاب قال الله تعـالى: [**فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ** * **وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَـةُ** * **فَـكُّ رَقَبَةٍ**] {البلد:11-13}. وروى الإمـام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قــال: «**من أعتق رقبة مســلمة فهو فداؤه من النار**».

فضل المؤذنين

من الـذين يظهر فضـلهم يـوم القيامة المؤذنون فهم أطول الناس أعناقاً في ذلك اليــوم العظيم، فقد جــاء في مســلم عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت رسـول الله يقول: «**المؤذنون أطـول النـاس أعناقاً يوم القيامة**».

فطول أعناقهم مناسب لما قاموا به في الــدنيا برفع كلمــات التوحيد والــدعوة إلى الصلاة وحـالهم في الآخـرة اشـتياق لرحمة الله عز وجل في ذلك اليوم العظيم.

الذين يشيبون في الإسلام

يكون الشيب للمسلم يـوم القيامة نـوراً فقد جــاء في ذلك الحــديث كما في ســنن الترمــذي والنســائي عن كعب بن مُــرة أن رســول الله قـال: «**من شـاب شـيبة في الإســلام كــانت له نــوراً يــوم القيامة**» .

فضل الوضوء

جاء في صحيح البخـاري عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: سـمعت رسـول الله يقول: «**إن أمتي يُـدعون يـوم القيامة غُراً محجّلين من أثر الوضوء**».

فهـذه الغـرة والتحجيل تكـون للمـؤمن حلية يــوم القيامة ففي صـحيح مســلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســول الله : «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**».

الشفاعة

يشـــتد البلاء بالنـــاس في ذلك الموقف العظيم أمام رب العـالمين فيـذهبون لأولي العـــزم من الرسل ليشـــفعوا لهم ويقف المطـاف عند خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين فيشـــفع لأمته ولأهل الموقف وقد ثبت في البخـاري ومسـلم عن أنس بن مالك قـال: قـال رسـول الله : «**كل نــبي ســأل سؤالاً أو قال: لكل نبي دعـوة دعاها لأمته وإني اختبـأت دعـوتي شـفاعة لأمتي يوم القيامة**».

أنواع الشفاعة

أنواع الشفاعات التي تقع في ذلك اليوم العظيم:

الأولى: الشفاعة العظمى وهي المقـام المحمود الذي يرغب الأولون والآخـرون فيه إلى الرسـول ليشـفع إلى ربه كي يخلص العباد من أهوال المحشر.

الثانية: الشـفاعة في أهل الـذنوب من الموحـدين الـذين دخلـوا النـار أن يخرجـوا منها.

الثالثة: شـفاعة الرسـول في أقـوام تسـاوت حسـناتهم وسـيئاتهم فيشـفع فيهم ليدخلوا الجنة.

الرابعـة: شـفاعة الرسـول في رفع درجات من يـدخل الجنة فيها فـوق ما كـان يقتضيه من ثواب أعمالهم.

الخامسة: شفاعة الرسول في أقوام يدخلون الجنة بغـير حسـاب كما في حـديث عكاشة بن محصن رضي الله عنه.

السادسة: شفاعة الرسول في تخفيف العذاب على عمه أبي طالب.

السابعة: شفاعة الرسول في الإذن بدخول الجنة للمؤمنين.

الحساب والجزاء

يقف العباد بين يدي رب العالمين ليس بينه وبينهم حجاب ولا ترجمان ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وما كانوا عليه في الدنيا من إيمان وكفر واستقامة وانحراف وطاعة وعصيان ويكون الحساب منه العسير ومنه اليسير ومنه التكريم ومنه التوبيخ والمتولي ذلك هو أكرم الأكرمين وهو العزيز الحكيم.

مشهد الحساب

عندما تشرق الأرض بنور ربها ويجيء جل وعلا لفصل القضاء وتجيء الملائكة بكتب الأعمال التي أحصت على الخلق أعمالهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ويجيء الرسل في موقف الفصل والقضاء والحساب ويسألون عن الأمانة التي حمّلهم الله إياها ويقوم الأشهاد في ذلك الموقف العظيم فيشهدون على الخلائق بما كان منهم والأشهاد هم الملائكة والأنبياء والعلماء والأرض والسماء والليالي والأيام والجوارح ويقوم الناس صفوفاً أمام رب العالمين للعرض والحساب ولشدة ما يراه الناس في ذلك الموقف العظيم يجثون على ركبهم.

فنسأل الله العلي القدير أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويــــوم العـــرض وأن يدخلنا الفردوس الأعلى من الجنة.

خاطرة إيمانية

إذا بُعث العباد من قبـورهم إلى الموقف وقـاموا فيه ما شـاء الله حُفـاةً عُـراةً غُـرلاً بُهماً وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاســبهم فيه أمر بـــالكتب الــتي كتبتها الملائكة الكـــرام الكـــاتبون وذكّر النـــاس بأعمـــالهم فمنهم من يــــؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السـعداء ومنهم من يـؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وهم الأشـقياء فعند ذلك يقـــرأ كل فريق كتابه فالســـعداء إلى الجنة والأشقياء إلى نار.

مثّل وقوفك يوم — مستوحشاً قلق
والنار تلهّب من — على العصاة ورب
إقرأ كتابك يا عبدي — فهل ترى فيه حرفا
لما قرأت ولم تنكر — إقرار من عرف
نادى الجليل خذوه — امضوا بعبد عصا
المشركون غدا في — والمؤمنون بدار

سؤال الكفّار

الصحيح أن الكفار محاسبون مسئولون كما أن أعمالهم توزن وعلى هــذا الأدلة من الكتاب والسُّنة الصحيحة.

فيحاسبون الكفار وتوزن أعمالهم مع أن أعمالهم هابطة ومردودة لأمور وهي:

الأول: إقامة الحجة عليهم وإظهـــــــار العدل المطلق والحكمة.

الثـاني: تـوبيخهم وتقـريعهم وفضـيحتهم على رؤوس الخلائق.

الثـــالث: أن الكفـــار مكلّفـــون بأصـــول الشريعة وفروعها وعليه الأدلة.

الرابع: أن الكفّـار يتفـاوتون في كفـرهم وذنوبهم والنار لهم بمقدار ذلك.

ووزن أعمال الكفّار أن يوضع في إحدى الكفتين كفـره وسـيئاته ولا يوجد في الكفة الأخـرى حسـنة فـترجح كفة السـيئات لأن الأصل في ذلك أن الشرك يحبط الأعمال.

القواعد التي يحاسب العباد على أساسها

لو عذب الله جميع خلقه لم يكن ظالماً لهم لأنهم عبيده وملكه ويتصـرف في ملكه كيف يشاء ولكن الحق تبارك وتعـالى يحكم بين عبـاده في محاكمة عادلة لم يشـهد لها مثيل والقواعد الـــتي يحاسب العبـــاد على أساسها هي:

1- العدل التام الذي لا يشوبه ظلم.

2- لا يؤخذ أحد بجريرة غيره فكل نفس مأخوذة بجرمها وإثمها والإنسـان يتحمّل إثم ما ارتكب من الـــذنوب وإثم من أضـــلهم بقوله وفعله كما أن دعاة الهُدى يؤجرون.

3- أطلاع العبـــاد على ما قـــدّموه من أعمال.

4- مضاعفة الحسنات دون السيئات.

5- إقامة الشـــــهود على الكفّـــــار والمنافقين.

ما يُسأل عنه العباد

أعظم ما يُسـأل عنه الآلهة الـتي كـانوا يعبـــدونها وعن إجـــابتهم المرســـلين وعن أعمـــالهم في الــدنيا والعهـــود والمواثيق والأسـماع والأبصـار والأفئـدة فيكـون الـذي يسأل عنه العباد:

1- الكفر والشرك.
2- ما عمله في دنياه.
3- النعيم الذي يتمتع به في دنياه.
4- العهـود والمواثيق المشـروعة الـتي بين العباد فـإن الله سـائل العبد عن الوفـاء به.
5- السمع والبصر والفؤاد.

أول ما يحاسب عليه العبد

أول ما يحاسب عليه العبد من حقــــوق الله تبارك وتعالى: الصـلاة وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الناس: الدماء.

أنواع الحساب

بعض العباد يدخلون الجنة بغير حســاب، ومن العباد من يحاسبون ويتفاوت حسـابهم يوم القيامة وهم على نوعين:

1- الحســاب العســير: وهم الــذين أشـــركوا بالله وكفـــروا به وبعض عصـــاة الموحـدين يطـول حسـابهم ويعسر بسـبب كثرة الذنوب.

2- الحسـاب اليسـير: وهم الـذين لا يناقشـون الحسـاب ولا يـدقق عليهم وإنما تعرض عليهم ذنوبهم ثم يتجاوز لهم عنها.

ختام مشهد الحساب

في ختـام مشـهد الحسـاب يعطى كل عبد كتابه المشــــتمل على ســـجل كامل لأعماله الـــتي عملها في الحيـــاة الـــدنيا وتختلف الطريقة الـــتي يـــؤتى بها العبـــاد كتبهم.

فأما المـــؤمن: يـــؤتى كتابه بيمينه من أمامه فيحاسب حسـاباً يسـيراً وينقلب إلى أهله مسروراً رافعاً صوته بفوزه.

فأما الكــافر والمنــافق وأهل الضــلال: فـــإنهم يؤتـــون كتبهم بشـــمالهم من وراء ظهــورهم وعند ذلك يــدعو الكــافر بالويل والثبور.

اقتصاص المظالم بين الخلق

يقتص الحكم العــــدل يــــوم القيامة للمظلـوم من ظالمه حـتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمة حتى الحيوان يقتص لبعضه من بعض.

جاء في صحيح مسـلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رســـول الله قـــال: **«لتـــؤدنّ الحقـــوق إلى أهلها يـــوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**.

كيف يكون الاقتصاص يوم القيامة ؟

يوم القيامة رأس مال الإنسان حسناته فإذا كانت عليه مظالم للعباد فإنهم يأخذون من حسناته بقدر ما ظلمهم فإن لم يكن له حسـنات أو فـنيت حسـناته فإنه يؤخذ من سيئاتهم فتطرح فوق ظهره.

جاء في صحيح البخـاري عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله : **«من كــــــانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شــيء فليتحلل منه اليــوم قبل أن لا يكـون دينــار ولا درهم إن كــان له عمل صــالح أخذ منه بقــدر مظلمته وإن لم يكن حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**.

عظم شأن الدماء

من أعظم الأمـــور عند الله أن يســـفك العبــاد بعضــهم دم بعض في غــير الطريق الشرعي الذي شرعه الله تبارك وتعالى.

جاء في سـنن الترمـذي وأبي داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قـال: قــال رســول الله : «**يجيء المقتــول بالقاتل يــوم القيامة ناصـيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دمـاً فيقـول: يا رب سل هذا فِيمَ قتلني؟ حـتى يدنيه من العرش**».

وجـاء في البخـاري ومسـلم والترمـذي والنســـائي عن عبدالله بن مســـعود رضي الله عنه أن النـــــبي قــــال: «**أول ما يقضى بين النـاس يـوم القيامة في الدماء**».

متى يُقتص للمؤمنين بعضهم من بعض؟

جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**».

الميزان

دلت النصوص على أن الميزان ميزان حقيقي لا يقدر قدره إلا الله تعالى وهو ميزان دقيق ولا يزيد ولا ينقص.

روى الحاكم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي قال: «**يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**».

وقد رجح ابن حجر رحمه الله أن الميزان يوم القيامة ميزان واحد وقال رحمه الله: «ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله لأن أحوال القيامة لا تُكيّف بأحوال الدنيا».

الميزان عند أهل السُّنة والجماعة

الميزان عند أهل السُّنة والجماعة ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد وخالف في هذا المعتزلة وقلة قليلة من أهل السُّنة.

إذاً الميزان الذي يُنصب يوم القيامة تواترت بذكره الأحاديث وأنه ميزان حقيقي وهو ظاهر القرآن العظيم والسُّنة الصحيحة وقد رد الإمام أحمد على من أنكر الميزان بأن الله تعالى ذكر الميزان في قوله [**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ**] {الأنبياء:47}ـ والنبي ذكر الميزان يوم القيامة فمن رد على النبي رد على الله عز وجل.

ما الذي يوزن في الميزان؟!

لعل الحق في هذه المسألة أن الذي يوزن في الميزان هو العامل وعمله وصحائف أعماله وقد دلت على هذا النصوص الصحيحة على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن ويكون هذا مقتضى الجمع بين الأدلة في هذه المسألة وهذه بعض الأدلة:

- دليل وزن العامل: أن عبدالله بن مسعود كانت له ساقان دقيقتان فجعلت الريح تلقيه فضحك القوم فقال رسول الله : «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**».

- دليل وزن الأعمال: قال رسول الله : «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن**

خفيفتـان على اللسـان ثقيلتـان في المـــيزان: ســـبحان الله وبحمـــده سبحان الله العظيم».

- دليل وزن الصـحائف: حـديث البطاقة **«لا إله إلا الله».**

الأعمال التي تثقل في الميزان

أثقل ما يوضع في المـــــيزان هو حُسن الخُلق فعن أبي الـدرداء عن النـبي قـال: **«إن أثقل شـــيء يوضع في مـــيزان العبد يـــــوم القيامة خُلق حسن وإن الله يبغض الفـــاحش البـــذيء»** رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وكــــذلك مما يثقّل المـــيزان قـــول: **«سـبحان الله وبحمـده سـبحان الله العظيم»**. وكذلك مما يثقّل الميزان قـول: **«الحمد لله»**.

الحوض

يكرم الله عبده ورسوله محمـداً في الموقف العظيم بإعطائه حوضـــــاً واسع الأرجـــاء مـــاؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السـماء يأتيه هـذا المـاء الطيب من نهر الكوثر الذي أعطاه الله لرسـوله تـرد عليه أمته فمن شـــرب منه شـــربة لا يظمأ بعدها أبداً.

كل أمة تتبع الإله الذي كانت تعبده

في ختام هذا اليوم العظيم يحشر العباد إما إلى الجنة وإما إلى النــــــار وهما المقر الأخير الذي يصير إليه العباد جميعاً.

وفي آخر هذا اليوم يُطلب من كل أمة أن تتبع الإله الذي كانت تعبده.

فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس.

والذي كان يعبد القمر يتبع القمر.

والذي كان يعبد الأصنام يتبع الأصنام.

والـذين كـانوا يعبـدون فرعـون يتبعونه فتســقط هــذه الآلهة في النــار ويســقط عبّادها وراءها في نار جهنم كما قال تعـالى: [**يَقْدُمُ قَوْمَـهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ فَـأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ**] {هود:98}.

ولا يبقى إلا المؤمنــــــون وبقايا من أهل الكتــاب وفي المؤمــنين المنــافقون الــذين كـانوا معهم في الـدنيا فيـأتيهم ربهم فيقـول لهم: ما تنتظـــرون؟ فيقولـــون: ننتظر ربنا فيعرفونه بسـاقه عنـدما يكشـفها لهم ويخر المؤمنــــون ســـجّداً، وأما المنـــافقون فلا يسـتطيعون فتكـون ظهـورهم طبقة واحـدة ويرمون في النار قال تعالى: [**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَـاقٍ وَيُـدْعَوْنَ إِلَى السُّـجُودِ فَلَا يَسْـــــــــتَطِيعُونَ**] {القلم:42} وينصب الصــراط ويمر المؤمنــون عليه على قــدر أعمالهم ويتساقط المنافقون.

حشر الكفّار إلى النار

جاءت النصوص الكثـيرة الـتي تصـور لنا كيف يحشر الكفّار إلى النار مع آلهتهم التي

كـانوا يعبـدونها من دون الله عز وجل فمن ذلك:

1- أنهم يحشـرون كقطعـان الماشـية جماعات جماعات ويُنهرون نهراً.

2- أنهم يحشـرون إلى النـار على وجـوههم لا كما كـانوا يمشـون في الـدنيا على أرجلهم فهم يحشـرون على وجـوههم عمياً لا يـرون وبكمـاً لا يتكلمـون وصـماً لا يسمعون.

3- أنهم يحشـرون مع آلهتهم الباطلة وأعوانهم وأتباعهم.

4- أنهم يحشـرون مغلـوبين مقهـورين صاغرون.

5- أنهم يحشرون وإذا عاينتهم النار وهم على بُعد منها سمعوا صوتها وزفيرها فتصك مسامعهم وتملأ قلوبهم رُعباً وهلعاً.

6- أنهم يحشرون وإذا رأوا النار وعـاينوا أهوالها يندمون ويتمنـون العـودة إلى الـدنيا كي يؤمنوا ولكن لا يجدون ذلك.

7- أنهم يحشـرون إلى النـار ويـأمرون بـدخولها ويغضب الجبّـار والذلة والخسـارة عليهم ولا ينجو منهم أحد من الجن والإنس إلا الأتقياء منهم.

معنى ورود النار

ذهب بعض العلمـاء إلى أن المـراد بالورود هو المـرور على الصـراط في قوله تعـالى: [**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**] {مـريم: 71}ـــ وهو الأظهر والأقـوى من أقـوال العلمـاء لأن الله تعـالى قـال بعد ذلك [**ثُمَّ**

نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا] {مريم:72}.

حقيقة الصراط عند أهل السُّنة والجماعة

قال السفاريني: «الصراط في اللغة الطريق الواضح.... وفي الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة بين الجنة والنار....».

وقال السفاريني: «اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسراً ممدوداً على متن جهنم أحدَّ من السيف وأدقَّ من الشعر....».

خاطرة إيمانية

تخيل نفسك إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة وعلا لهيبها وارتفع صوت زفيرها وأنت تمشي أحياناً وتزحف أحياناً فلا نجاة من ذلك الموقف العظيم والحدث الرهيب إلا بالمسارعة بالأعمال الصالحات ولزوم التقوى لرب العالمين.

أبت نفسي تتوب … إذا برز العباد لذي
وقاموا من قبورهم … بأوزار كأمثال
وقد نصب الصراط … فمنهم من يكب
ومنهم من يسير … تلقاه العرائس
يقول له المهيمن … غفرت لك الذنوب

موعظة

سبحان من أحاط بعلمه الكائنات وأطّلع على النيات وعلم بنهايات الأمور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم ما في الضمير ولا يغيب عنه الفتيل والقطمير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير نحمده ونشكره على نعمائه الظاهرة والباطنة ونصلي ونسلم على سيد البشر صاحب الآيات الباهرة وعلى آله وصحبه من الأنصار والمهاجرة أما بعد

فإذا ضل الحادي في الصحراء ومال الركب عن الطريق وحارت القافلة نادى المنادي يا الله.

إذا أغلقت الأبواب أمام الطالبين وحلت النّكبة ووقعت المصيبة نادى المنادي يا الله.

إذا بارت الحيل وضاقت السُبل وانتهت الآمال وتقطعت الحبال نادى المنادي يا الله.

إذا ضاقت الأرض بما رحُبت وضاقت الأنفس بما حُمّلت نادى المنادي يا الله.

باسمه تشدو الألسن وتطمئن القلوب وتسكن الأرواح وتهدأ المشاعر وتبرد الأعصاب.

الله أحسن الأسماء..

الله أصدق العبارات..

الله أجمل الحروف..

الله أثمن الكلمات..

[**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**]..

إنه الله جل جلاله

يبدى ويُعيد وينشىء ويبيد وهو فعّال لما يريد..

لم يخلق الخلق سُدى وهو الــذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..
دخل موسى وهـــــــــــارون على رأس الطغيان..
فهابا من السلطان والصولجان..
وخافا في ساعة الامتحان..
فنادى رب الورى [**قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**] {طه:46}.
دخل سيد البشر والصــديق كما صح في ذلك الخبر..
فدخلا الغار وأحاط بهما الكفّار..
وفوض الأمر إلى الله الواحد القهّار..
فقــال الله جلا جلاله ونطق بها رســوله [**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**]..
فسبحان من مــدح نفسه قبل أن يمدحه المادحون..
فســبحان من أثــنى على جلاله قبل أن يُثني عليه المثنون..
فقال عن نفسه: [**إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**]..
فو الذي نفسي بيده من عــرف الله حق المعرفة فإنه لا يتجرأ أن يعصيه أي معصية
وضع إبراهيم الخليل في المنجنيق فقال له جبريـــل: ألك حاجة فقـــال: أما إليك فلا وأما إلى الله فنعم..
فلما أرسل إلى النار قال الخليل: حسبنا الله ونعم الوكيـــل... فجعلها رب العـــالمين برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.
قــال فرعــون: هــذه الأنهــار تجــري من تحتي فعاقبه الجبّار بخلاف ما قــال وأجــرى

عليه البحار من فوقه وأخرجه ليكون للناس آية وعلامة إلى يوم القيامة.
مُزق ملك كسـرى بعـدما مـزّق خطـاب رسول الله فقال نـبي الملاحم: «**اللهم مزق ملكه**» ولم يبق من ذلك الـوقت إلى قيام الساعة للفُرس ملكاً.
جل جلاله وتقدّست أسماؤه وصفاته..
لا ينــــام ولا ينبغي له أن ينــــام يخفض القسط ويرفعه حجابه النــــور لو كشـــفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصـره ويمينه ملأى سحّاء الليل والنهـار وله مقاليد السموات والأرض وقلوب العباد بيده وملك الملـوك في قبضـته وهو الـذي أسـال من رؤوس الجبال أنهاراً وتفجّـرت الأحجـار من خشـيته مـاءً وتجلى للجبل فانهـار دكـاً وخر موسى صـعقاً وأطّت السـماء وحُق لها أن تئط من ازدحـــــــــام الملائكة في طاعته مسبّحين بحمده فسبحان الواحد القهّار..
كل أسـمائه حُسـنى وكل صـفاته عُليا وكل أفعاله حكمة وكل شريعته رحمة.
هذا أبي بن كعب سـيد القـرّاء بلغ أعلى مراتب المحبة والوفاء في اتباع السُّنة فأمر الله جل وعلا نبيه أن يقـرأ عليه سـورة البيّنة.
فقال أُبي: وسماني في الملأ الأعلى؟
قال نبي الرحمة: نعم.
فبكى أُبي وهو بكــاء الفـــرح والغبطة والسرور كما قيل:

طفح السرور عليَّ من عظم ما قد

إن من عظمة الباري الخوف من مقامه والتماس رحماته ومعرفة قدره وقهـره وإنه سـميع دعـاء من سـأله وفـارج الكـرب وكاشف السـوء ومجيب المضـطر فـالق الإصـــباح مزيل الهمّ ورافع الغم حـــبيب المحبين وأنيس المستوحشين...

هـذا أبو الفضل الشـيرازي يقـول في كتابـه: إن رجلاً من الصـالحين خـاف عـدواً يقصـده بضـرر ودبّر له مكيـدة فالتجأ إلى الله بالـدعاء وانطـرح عند بابه ولاذ بجنابه فرأى في المنام وسمع صـوتاً وهاتفـاً يقـرأ سورة الفيل فعندما أصبح كفـاه الله عـدوه وجعل كيده في نحره وجعل تدميره تـدبيره وكفاه شره وأهلكه.

ألم تسمع يا رعاك قول الله: [**إِنَّ اللـهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا**] {الحج:38} .

فكلما ازداد العبد إيمانـــاً زاد الله عنه دفاعاً

فالله أحق من مُـــــدح وأجل من ذُكر وأعظم من عُبد

إلهي لا تعذّب أسماعاً اطمأنت لذكرك..

إلهي لا تعذّب ألسناً قرأت كتابك..

إلهي لا تعـذّب أقـداماً سـارت إلى مرضاتك.

إلهي لا تعـذّب أبصـاراً تفكـرت في مخلوقاتك.

إلهي لا تعذّب ولا تشوي خلقنا بنارك..

إلهي اشتقنا لرحمة من رحماتك..

إلهي اشتقنا لرؤية جمال وجهك..

إلهي اشتقنا لسماع ولذة خطابك..

إلهي اشـــتقنا أن تجمعنا بمحمد ســـيد أنبيائك..

إلهي اشـتقنا أن تجمعنا بوالـدينا وأحبابنا فيك في الفردوس الأعلى من جناتك.

وصـــلى الله وســـلم وبـــارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي
وإسرافي في أمري وما أنت أعلم
به مني
اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي وخطئي
وعمدي وكل ذلك عندي
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت وما أنت
أعلم به مني أنت المقدم وأنت
المؤخر وأنت على كل شيء قدير
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
اللهم انفعني بما علّمتني وعلِّمني
ما ينفعُني وارزقني علماً ينفعُني
وزدني علماً
والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله
من حال أهل النار
سبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أن لا
إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
كتبه
الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن
سعيد بن سيف السيف
غفر الله له
ولوالديه وجميع المسلمين
20/6/1429هـ